محاضرات النقد في الجزائر تخصص أدب جزائري ماستر 1 (الأفواج 1-6)

مدخل :

حركة النقد الأدبي في الجزائر -

لقد اقتحم النقاد الجزائريون عالم النقد بآرائهم وتعليقاتهم النقدية، رغم أن نظرتهم كانت جزئية، وتفتقر إلى التعليل الكافي، والشواهد المقنعة، فإننا لا نتهم النقاد الجزائريين بالضعف والتقصير كيف ذلك والأدب الجزائري في تلك الفترة كان يعاني في مجمله من الضعف شكلا ومضمونا كما كان يعاني من الافتقار إلى أجناس أدبية كا القصة القصيرة والرواية والمسرحية، وفي هذا المجال قال "أبو القاسم سعد الله": "فالأدب عندنا كفن ما يزال متخلفا من حيث الكم والموضوع والأسلوب، فليس عندنا بالعربية قصة توفرت لها شروط الإجادة في التقنية والعلاج، أو شعر تطور مع عواطف الناس وظروفهم، ولا إنتاج مسرحي عبر عن مشاعرنا في الحب والكفاح"، وقد علل صالح بن غزال ظاهرة الركود الأدبي في الجزائر بانعدام التشجيع أولا وضعف نسبة القراءة ثانيا وفي هذا السياق يمكن أن نستحضر مقالا له" بعنوان مالهم لا ينطقون؟ يرد فيه على "عبد الوهاب بن منصور" ردا خفيفا لطيفا ناظرا إلى مقالته على أنها ثورة ضد الركود والجمود والعقم.

أورد الدكتور "مخلوف عامر" وهو أحد المهتمين والمتابعين لتطورات الحركة النقدية الجزائرية في كتابه "مظاهر التجديد في القصة القصيرة"جملة من العوامل التي أدت إلى ضعف الحركة النقدية في الجزائر، وقد جعلها فيما يلي:

- السيطرة الاستعمارية وسيادة الاتجاه التقليدي.

- قلة الرصيد التراثي الموروث في الأدب والنقد، لدى الاتجاه التقليدي بسبب العداء والإقصاء الممارس ضد اللغة العربية.

- ضعف حركة النشر ، التي اقتصرت على طبع الكتب الدينية والجرائد.|

- الموقف العدائي ضد الاستعمار، وعدم إتقان اللغة الفرنسية، الأمر الذي لم يمكّن من الاستفادة من النقد الفرنسي.

كل هذه العوامل أثّرت في مسار الحركة النقدية بالجزائر قبل الاستقلال، وفي هذا الصدد يقول الدكتور "عبد الله بن قرين": "أن النقد الذي عرف في هذه الفترة لم يستطع أن يقوم ويوجه حركة الجزائر الأدبية عامة والشعرية خاصة لذا اعتمد الأدباء على أنفسهم في جو الفراغ النق2دي "فقد كان دوره محدودا جدا، لا يقوم في معظمه على أسس نقدية ثابتة، أو أصول تعارف عليها النقاد العرب، أو النقاد المعاصرين، فهو بذلك أقرب إلى خواطر أملتها ظروف معينة، وهذا لا يعني التقليل من قيمة المحاولات النقدية، فهي بلا شك تعبر عن مرحلة نقدية مهما كان مستواها ولكن من الواضح أنها لم تصل إلى مستوى التأسيس لمدرسة نقدية جزائرية لها خصائصها ومميزاتها الفكرية والفنية " ، ونفهم من هذا القول أن النقد قبل الاستقلال كان محدودا، يفتقر إلى أسس نقدية، وأن هذه المرحلة لم تخص بتأسيس مدرسة نقدية جزائرية ذات أسس وخصائص متعارف عليها.

لا يزال النقد والأدب كليهما في حاجة إلى المزيد من الوقت ليصلا إلى درجة النضج: ومن هنا يبدو جليا أن كلا من الأدب والنقد في حاجة إلى مزيد من الوقت والتجربة والخبرة، ليعطينا النتائج المرجوة، ويخرجنا من دائرة الغموض والفوضى والاضطرابات، إلى دائرة

الوضوح والنضج، ويزيد هنا أن نؤكد أن الاضطراب في النقد الأدبي الجزائري الحديث وعدم تنوعه آنذاك والأمر الثاني هو محدودية الثقافة الأدبية النقدية لدى النقاد الجزائريين، وبخاصة ما تعلق منها بالتيارات الأدبية والمناهج النقدية ، إن النقد في تلك الفترة كان يتميز بالغموض والفوضى والاضطراب، فالفعل الاستعماري العنيف أنتج لدى هؤلاء الأدباء الجزائريين رد فعل عنيف أدى بهم إلى:

الالتفات حول الثقافة الوطنية والاحتماء بالمرجعية التراثية " والقومية، لمقاومة كل أشكال الغزو برؤية واقعية تاريخية تجعل من الأدب رسالة ثورية، ذات غاية إيديولوجية أساسا2

وقد توزعت جهود النقاد في هذه الفترة على تقديم بحوث ودراسات جامعية وكتابات نقدية متفرقة في الصحف والجرائد الوطنية حيث: برزت هذه الكتابات النقدية كأعمال أكاديمية وأطروحات جامعية تهدف بالأساس للتعرف بأدباء الجزائر و بالطاقات المبدعة التي تزخر بها وهو عمل في جوهره يحمل طموحات الثورة لتحقيق الاستقلال الثقافي بعد الاستقلال السياسي"، ومن أبرز الدراسات الأكاديمية تلك الجهود التي قدمها "عبد الله بن قرين" بعنوان النقد الأدبي في الجزائر (1830، 1982)، كذلك قدم الدكتور يوسف وغليسي" مخطوطا بعنوان "إشكالية المنهج والمصطلح في تجربة عبد الملك مرتاض النقدية" ثم طبع فيما بعد ، كما أثمرت الدراسات الأدبية بجهودها في إطار إعادة النظر في الماضي وغربلته من الشوائب التي غطت جوهر العمل الأدبي فالناقد عبد الله ركيبي اهتم بالشعر من خلال دراسته (الشعر الديني الجزائري) وكذا كتابه (الشعر في زمن الحرية)، كما اهتم الناقد محمد مصايف بالمناهج النقدية المستعملة في المغرب العربي قبل وبعد الاستقلال في كتابه ."(النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي)

المحاضرة الثانية :

دور الصحافة في تطور النقد في الجزائر

كان للصحافة الوطنية دورا هاما إذ فتحت صفحات جرائدها لكتابات النقاد وإن لم تخصص جريدة بعينها في قضايا النقد فبدأت بعض الصحف الوطنية تخصص صفحات للأدب والإبداع و بعض النقد كجرائد (الشعب)، ومجلة (الجيش) و جريدة (النصر)...كذلك الصحافة الأدبية كمجلة (آمال)، فكبار الكتاب والنقاد الذين عرفتهم الساحة الأدبية الجزائرية بدأت مسيرتهم الإبداعية والنقدية انطلاقا من الصحافة كأمين الزاوي، جيلالي خلاص ، محمد زتيلي ، ابراهيم صحراوي ، ابراهيم رماني ، محمد سعيدي ، مخلوف عامر ... الخ.

والملفت للانتباه أن فترة ما بعد الاستقلال جدّت فيها مستجدات كثيرة ، من ذلك أنها مضت تجربتها النقدية من جديد وبدأت تباشر بدراسة النص الأدبي، فتقلب خطابنا النقدي من مناهج نقدية سياقية من فنية واجتماعية وتاريخية ونفسية إلى مناهج نسقية من بنيوية وأسلوبية وسيميائية وتفكيكية.

وتتقاطع المناهج السياقية على اختلاف منطلقاتها وأهدافها في " عنصر أساسي مشترك، وهو أنها تلج النص من سياقه و تلتمس حقيقته من خارجه، وتعده انعكاسا بكيفية أو بأخرى للمحيط الذي نشأ فيه"، ونفهم من هذا القول أن المناهج السياقية تهتم بسياق النص، وبشخصية الأديب، وبتكوينه الثقافي، وبيئته السياسية والاجتماعية، والبناء العام للعمل الأدبي من جهة، وبجماله من جهة أخرى.

وذلك من خلال التركيز على محيط النص الخارجي و إحالاته الوثائقية، وسياقاته التكوينية، أو ما يختزله بعضهم في المصطلح الفرنسي (Geno texte) ولم يبق الوضع على حاله فمع بداية

الثمانينيات بدأ يتشكل إبدال جديد، ينهض على أساس رؤية مغايرة لدور النقد وطبيعة الأدب، وأخذ يسعى إلى تجاوز البحث في المؤثرات الخارجية للنص، بغية فهمه وتفسيره وتصنيفه، وإبراز قيمته الجمالية، وذلك بتركيزه على ما يعبر عنه النص وما يحمله من قيم معرفية، وينادي بالاهتمام بالنص في ذاته، بغض النظر عن خلفيته التاريخية، وصارت تبعا لذلك مقولة النص ولا شيء غير النص " فإذا كانت المناهج السياقية تهتم بالمحيط الخارجي للنص، وبظروف الكاتب، فإن المناهج النسقية تقارب النص من داخله، فتعمل على تشريحه، وكشف حقائقه وذلك من خلال التركيز على النص مجردا Pheno " مما حول بنيته الظاهرة

-

وهو أكبر تحول في مسار المنهج "، وعلى ضوء هذا " texte التحول، ثارت المناهج النصانية على المناهج السياقية التقليدية التي | .راحت تدعو إلى فكرة موت المؤلف

1- النقد الأدبي في الجزائر مفهومه، مراحله ووظيفته :

قبل أن نعطي مقاربة مفهومية للنقد لا بد أن نشير بأن النقد ضرورة من ضرورات الحياة فبدونه لا يمكن للحياة أن تتطور، كيف لا وهو يقوم بكشف النقائص والسلبيات ويعمل على تحقيق الصورة المثالية النموذجية، وقد أشار إليه عبد الله ركيبي بقوله: "إن العناية بالنقد تعني الاهتمام بالمستقبل، وتعني أيضا عدم الرضا بالواقع وترمي إلى النزوع نحو الأفضل والطموح إلى الأرسخ، ذلك أن الحديث عن النقد حديث عن حقيقة الحياة بمعنى من المعاني، وحديث عن الإنسان، وغاية الأدب والنقد والفن هي حرفة الإنسان ومعرفته وفهمه، ولم تزدهر الحضارات سوى بالنقد والتمحيص والبحث عن الجديد

دائما"، وضمن هذا التصور العام لأهمية النقد وضرورته يمكن القول: إن الإنسان ناقد بطبعه ولكن الناقد بالمفهوم الاصطلاحي يتميز عن الآخرين من حيث العمل على نقل رؤيته وتصوره إلى الآخر ومحاولة التأثير فيه ، ويختلف النقد من ميدان إلى آخر باختلاف مادته، لذلك غالبا ما تضاف إليه صفة تحدد ميدانه (النقد الأدبي – النقد الاجتماعي...).

ورغم أهمية النقد وضرورته في الحياة، إلا أنه من الصعب إن لم نقل من المستحيل أن نعطي مفهوما دقيقا جامعا مانعا للنقد؛ ذلك أن طبيعة النقد تخضع لحتمية التطور والتفاعل مع نتائج العلوم الإنسانية في بيئاتها المختلفة، والتي يستفيد منها الناقد في تبرير مقاييسه و إعطائها صفة الموضوعية ، مما يجعل مجمل المفاهيم المقدمة لمصطلح النقد ترتبط بالمستويات المعرفية للناقد وبمنطلقاته الفكرية والفنية، فهي تعبر بالضرورة عن رأي أصحابها في زمان ومكان معينين ، وتكشف عن مستوى تجربتهم وفهمهم الخاص لوظيفة النقد وماهيته، ومن ثم فهي ذات إشكالية أي أنها قابلة للنقاش والأخذ والرد، لاسيما وأن النقد الأدبي المعاصر لم يعد يرتبط وجوده بوجود الآخر (الأدب)، فقد أخذت فعاليته تستقل نوعا ما- عن الأدب؛ حيث أصبح يميل إلى الاستقلال والاتصال بمختلف أنواع المعارف الأدبية والإنسانية والاستفادة منه يقول الدكتور غالي شكري: "ليس صحيحا مثلا أنه حين يغيب الأدب - إذا غاب - يغيب النقد، لأن النقد ليس نباتا طفيليا يتسلق أشجار الورد، ولأن النقد ليس مجاله الوحيد هو التطبيق على الأدب، فإن له مجالا آخر حيويا هو (التنظير) و(التأريخ) و(التأصيل)".

هكذا حتى وإن كان النقد غير منسلخ عن خصوصيات الأدب، لكن يبقى غير تابع له كيف لا والفكر النقدي يطرح أسئلة متجددة تتجاوز

صمت القديم، وفي هذا الصدد يقول إبراهيم رماني : "الفكر النقدي هو التساؤل، البحث، الإبداع، هو الفكر الذي يحيا في حركة إلغاء دائمة للوجود، ويعيش في صوت الجدة التي تتجاوز باستمرار صمت القديم، هو الذاكرة في حالة اختراق متجددة لتخوم الحاضر، وطموح متقدم إلى الحلم الآتي، هو الذاكرة الحلم التي ترسم تاريخها من عضوية الزمن وديمومته، التي تصل الماضي بالحاضر والمستقبل، وتعلن أن المستقبل يبدأ من الحاضر، وأن الحاضر هو امتداد للماضي، بل لحظة من لحظاته الهاربة ..."

كما ينظر إلى النقد بأنه : " إبداع شامل، تأطير للنص والعالم داخل فضاء لا ينتهي أبدا إليه المصطلح الذي لا يتجمد في مفهوم أحادي، والرمز المشبع بالدلالات المتنامية الذي يتابع التأويل النهائي، وهو ليس نمطا ينحصر فيه المعنى، أو نسقا مغلقا لا ينتج إلا مقدماته، بل معرفة تنزع نحو السؤال والبحث، لا إيديولوجيا تجنح إلى التعميم والتبرير..."

والناظر لهذا النص يجد مقاربة النقد بفلسفة التاريخ في ضوء التطور البشري، ومن هذه المقاربة يقترب الوعي العميق بجوهر البنية النقدية بمعنى تكامل الرؤية و اتساع الأفق الفكري من خلال التفاعل والحوار الكلي الخصب.

إن النقد الأدبي في كل مرحلة من مراحل حياتنا الاجتماعية هو الوعي النظري لما يتضمنه التعبير الأدبي من قيم وخصائص في هذه المرحلة، ومع تطور حياتنا الاجتماعية وتطور أشكالها ومعاركها يتطور الأدب وأشكاله وقيمه، ويتطور كذلك وعينا النظري للأدب.

إن تلازم النقد والأدب لا يعني بأن الناقد خصم للأديب كما يتوهم بعض الأدباء الشباب ولا هو متطفل مستقل لمجهودات الأديب ، بل هو صديقه يأخذ بيده في طريق التطور والتجديد، ويساعده على تسلق مراتب السمعة والشهرة في فئه ويمكن أن نمثل لذلك بسمعة شكسبير العظيم التي ترجع في أساسها إلى نقاده الذين أشادوا بفئه والذين نقدوه و نالوا من شخصه، هكذا إذن لا ينبغي أن يختلف الأدباء والنقاد إلا في إطار الفن ومن أجل الفن، ويجب عليهم أن يتفقوا على خدمة الأدب و تطويره ونشره بأية طريقة كانت .

وإذا كان النقاد المعاصرون قد ألحقوا النقد الأدبي، فإن اعتماد بعضهم على المناهج العلمية العضوية والاجتماعية، والنفسية، والفلسفية وغيرها قد أعاد طرح المسألة من جديد، ومع أن أكثر النقاد المحدثين هم أدباء منتجون أو متوقفون عن الإنتاج، فإنهم لم يعتبروا أعمالهم النقدية إبداعات أدبية، وإن لم يخرجوها من دائرة الأدب، وقد مال بعض النقاد في الآونة الأخيرة إلى إدراج النقد ضمن إطار الإبداع معتمدين في ذلك على أن لكل ناقد أسلوبه وطريقة تعامله الخاصة وأحيانا المبتكرة مع النص، وذهب أصحاب هذا الميل إلى القول بأن العمل النقدي المتعلق بنص أدبي ما؛ إنما هو في حقيقة الأمر إضافة أدبية جديدة ومستقلة عن النص المنقود، وأن الناقد الجيد كالأديب الجيد لا يكرر غيره حتى ولو كان من ذات الاتجاه، إن العملية النقدية ينبغي أن تتناول العمل الأدبي كله ولا تكتفي ببعض الأجزاء فقط، وهذا ما أكده محمد مصايف في مناقشته لرأي إبراهيم بورقعه الذي قال بأن النقد هو غربال لا يمسك إلا الأخطاء والأغلاط ولا يتعرض للإجادة والإبداع، فيوضح أن "هذه الطريقة تقليدية في النقد يأخذ بها بعض النقاد اللغويين، وهي طريقة لا تخدم الأدب خدمة كبيرة، وتكتفي من النقد باتخاذه مناسبة للنيل من شخصية الأديب،

وفرصة لإثارة خصومات أدبية لا طائل تحتها"، هنا مصايف لا يقيم الحدود الفاصلة بين النقد الأدبي وبين الأصناف الأخرى من الدراسات الأدبية كنظرية الأدب مثلا أو تاريخ الأدب، إذ يحدد مهام النقد الأدبي في بحثه عن "الاتجاه العام للحركة الأدبية الجزائرية، والمذاهب الأدبية التي قد تظهر في هذه الحركة "، لقد ذهب الدكتور محمد مصايف في حديثه عن النقد؛ حيث حدد العملية النقدية في ثلاث مراحل أساسية:

هي مراحل الدراسة والتفسير والتقويم

وكل مرحلة من هذه المراحل لا يستغني عنها الأدب بحال، وإذا أقام الناقد هذه العملية حسب هذه المراحل، وعلى أحسن وجه ممكن يكون قد أدى رسالته تأدية كاملة، ويكون قد خدم الأدب والأدباء والنهضة العامة معا.

والوظيفتان التفسير والتقويم التي أشار إليهما الدكتور محمد مصايف يكاد يتفق حولهما أغلب النقاد الواقعيين مع اختلافات بسيطة في تحديد دلالتهما، أما الوظيفة الثالثة فيبدو الاختلاف واضحا، حيث يميل بعض النقاد إلى استبدالها بالتوجيه، مع ربط عملية التقويم بالحكم، ولكي لا ندخل في التفاصيل يمكن القول بأن هناك نقادا يرون بأن النقد ليس عملية إبداعية بل هو مجرد عملية تفسير للعمل الأدبي، ومساعدة القارئ على فهم هذا العمل، في حين أن نقادا آخرين يقفون موقفا مخالفا لهذا الموقف، ويرون أن الناقد مبدع كباقي الأدباء، فيجوز له أن يتخذ موقفا من الأثر الأدبي، ويظهر هذا الموقف أثناء التفسير والشرح، ويتضح بصفة خاصة أثناء التقويم الذي يبدي فيه الناقد رأيه الخاص، ويمكن في هذا الصدد أن نمثل بتعريف إبراهيم رماني للنقد بقوله: "النقد هو اللغة الشارحة أو ما بعد اللغة، هو كلام على كلام وخطاب حول خطاب، يتقصى أعماق

النص، يجلي ظلماته، يحدد مؤشراته، يعاني تجربته، يتلذذ بآلامه...".

ولكي يؤدي النقد الدور المرجو منه لا بد من تكامل وظائفه الثلاث، ومن ثم فإن التفسير يمثل الوظيفة الأولى التي تتطلب استكمال الوظائف الأخرى، وهو ما تفرضه طبيعة الأعمال الأدبية التي تتسم بالغموض والإيحاء والاعتماد على الصور الفنية والبلاغية، الشيء الذي يجعل فهم مضمونها عسيرا على الذات القارئة، ومن ثم يصبح التفسير لتلك الأعمال الأدبية مهمة أساسية للناقد لكي يساعد القارئ على فهم وإدراك خفاياها وفك مراميها ورموزها القريبة والبعيدة.

أما التقييم أو التقويم فيمثل الوظيفة الثانية للنقد الأدبي، يقول عنه محمد مصايف: "إن التقويم هو الذي يشكل المهمة الأساسية للنقد، ويضفي على دور الناقد المشروعية والنجاعة"، لكون هذه الوظيفة تتمثل في تقويم العمل الأدبي باعتباره موقفا وفنا في آن واحد، وهنا تسنح الفرصة للناقد الواعي بأن يقارن بين موقفه من الحياة، وموقف الأديب منها، ويقوم العمل الأدبي في إطار المذهب الأدبي الذي ينتمي إليه، وقد أثارت هذه الوظيفة جدلا واسعا بين النقاد والأدباء، فا نقسموا إزاءها إلى فئتين: فئة ترى "أن مهمة الناقد تقف عند حد الدراسة والتفسير ولا تشمل بحال من الأحوال صلاحية تقويم الأثر والحكم عليه" ، وفئة ثانية "توسع من مهمة الناقد فتمنحه صلاحية الحكم والتقويم، وترى أن هذه المرحلة من مهمة الناقد ، لا تقل أهمية عن المرحلتين الأوليتين وهما مرحلة الدراسة والتفسير، والتقييم يعد من أصعب مهام النقد لأنه يعني إصدار الحكم على العمل الأدبي وهو ما يتطلب من الناقد ثقافة واسعة وإلماما كبيرا بكل ما يؤهله كي يكون حكمه سديدا و موضوعيا، لا سيما وأن إصدار الأحكام التقييمية تعني أن الناقد يعتقد أو يتوهم أنه يملك

الحقيقة المطلقة التي لا تقبل الجدل والنقاش، وهذا يتنافى والمفهوم الحقيقي للإبداع الذي أساسه التجاوز، ومن ثم لا يمكن الحكم عليه أو تقييمه انطلاقا من مقارنته بأعمال أخرى سابقة عليه، ورغم ذلك نجد النقاد الواقعيين يحرصون كل الحرص على هذا العنصر ويعدّونه من وظائف النقد الرئيسة ، كونه يحمل في طياته وبصورة غير مباشرة عنصر التوجيه ويمثل عند بعض النقاد الوظيفة الثالثة، وترتبط هذه الوظيفة بالاتجاهات التي ترى بأن الأديب يحمل رسالة ينبغي أن يجسدها في عمله الأدبي ويعمل على تحقيقها على أرض الواقع، والواقع أننا إذا حدنا النقد من التقويم، فقد جردنا العمل المنقود من أهم سماته، وتحول الفن بين أيدينا إلى جزء باهت من التاريخ، ومعنى هذا أن مسؤولية التمييز بين الأعمال الأدبية بمقاييس الجودة والرداءة جزء ضروري من عمل الناقد، وحتى ولو اقتصر دوره على توضيح العمل الأدبي وإعطاء بعض المعلومات عنه ، ومما لا شك فيه أن وظيفة التوجيه تكمل عملية التقييم والحكم، وهي تتخذ من القيم العامة السائدة الفكرية أو الفنية غطاء لممارسة فعل التوجيه باختلاف توجهاته السياسية أو الأخلاقية أو الدينية ، ولكن هذه الوظيفة قد رفضها بعض النقاد كونها تعيق وتشل الفن والفنان، ويرى الدكتور شكري محمد عياد بأنه لا يمكن أن يصبح الناقد موجها أو معلما يقول للمبدعين اتجهوا هذا الاتجاه، وعليكم أن تكتبوا فيه، هذا شيء لم يخطر في بالي على الإطلاق، لا أتصور أن هذا من وظيفة النقد "، وعموما فإن هذه الوظائف أو المراحل الثلاث (التفسير ـ التقويم التوجيه) هي مراحل متداخلة في إجراء واحد ولا يمكن تحقيقها دون وجود نظرية فكرية وفنية يستند إليها الناقد ، هذه الأخيرة تدخل في حوار مع النص الأدبي فتمارس عليه إسقاطاتها، وقد تصحح بعضا من مكوناته وتوجهاته، مثلما يقوم العمل الأدبي أيضا بإدخال إصلاحات على النظرية نفسها و تصحيح نقائصها،

ويطلق أغلب النقاد على هذا النوع من النقد المرتبط بالوظائف الثلاث (التفسير ، التقييم ،التوجيه اسم النقد الواقعي لارتباطه بالواقع التاريخي لمجتمع معين، وبخصوصيات الأدب التي تختلف من بيئة إلى أخرى باختلاف الظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية، وتأسيسا على ما سبق فإن مهام النقد ودوره في الحركة الأدبية حسب النقاد الواقعيين تدور ضمن النقاط التالية:

1- تفسير الأعمال الأدبية والفنية وتحليلها، والكشف عن العوامل المؤثرة فيها، وإدراك أغراضها القريبة والبعيدة

2- تمييز العمل الأدبي الجيد عن العمل الرديء، والاهتمام بالبذرات الطيبة خاصة.

3- تقويم العمل الأدبي وتحديد مكانه في خط سير الأدب.

4- تحديد دور العمل الأدبي في المجتمع ومدى تأثره بالمحيط و تأثيره فيه.

5- الكشف عن القوانين الخاصة والعامة التي يتسم بها كل عمل إبداعي، وعلاقة ذلك بالحركة الأدبية المعاصرة.

النقد إبداع :

يذهب الدكتور عبد الملك مرتاض في تعريفه للنقد إلى القول :"النقد في مدلوله العالي إبداع فني ثان، وأي نقد لا يرقى إلى هذه المكانة فهو مجرد لغو، ومحض باطل وفضول ، والمتأمل لهذا المفهوم يرى بأن مرتاض قد ركز في نقده على وظيفة التحليل ، كما يرى بعض النقاد أن مفهوم الإبداع في النقد يدل في العادة على أنه عملية نسخ صورة أخرى لا حاجة إليها، أو على أحسن الحالات ترجمة عمل فني

إلى صورة أخرى تكون عادة ذات قيمة، كما يرى الناقد محمد مصايف بأن :"الناقد مبدع كباقي الأدباء ، يجوز له أن يتخذ موقفا من الأثرالأدبي، ويظهر هذا الموقف أثناء التفسير والشرح ، بالإضافة إلى ذلك فقد اعتبر النقاد المحدثين عملية النقد إبداعا أدبيا شأنها في ذلك شأن العمل الأدبي نفسه، أو هي على الأقل غير بعيدة عن دائرة الإبداع ،ولكن هذا المفهوم (النقد إبداع) قد طرح العديد من الإشكاليات أبرزها هي تحديد العلاقة بين النقد والإبداع، فهل هذه العلاقة علاقة موضوعية، أم علاقة ذاتية، أم علاقة تقع بينهما بحيث تتخذ لها لبوسين اثنين بناء على الحالات العارضة، والأطوار الطارئة؟ وقد حاول عبد الملك مرتاض أن يجيب عن هذه الإشكالية بقوله بأن طبيعة علاقة النقد بالإبداع هي ليست موضوعية خالصة، ولا هي أيضا ذاتية خالصة، بل هي تكون منزلة بين هاتين المنزلتين ، ولعل النقد الحقيقي كما يرى روبير كانير هو ليس الذي يستطيع أن يضيف إلى الإبداع فحسب، ولكنه هو الذي يستطيع أيضا أن ينضاف إليه في الوقت ذاته، وليس ذلك الذي يذوب فيه، وليس هذا السعي كما نرى بالأمر الميسور على وضع النقد،فإ بداعية النقد إذن يجب أن تظل نسبية جدا ؛ بحيث يجب أن ينضاف النقد إلى الإبداع، من خلال تناول الإبداع، لا أن يكون إبداعا خالصا في نفسه، إذن، فإن استطاع النقد أن يرقى إلى بعض هذه المنزلة دون أن يسقط في الثرثرة، ودون أن يتورط في السفسطة، ودون أن يقع في الانطباعية المتبلدة، وإن استطاع أن يكتسي شعرية دون أن يكون شعرا، وإن استطاع أن يتسم بموضوعية لا تلحقه بالمفهومات الميكانيكية، وإن استطاع أن ينأى عن الذاتية التي قد تجعل منه مجرد أحكام متحيزة، وإن استطاع كل ذلك أن يكون شاشة مضاءة ومضيئة في الوقت ذاته يقع النفاذ منها إلى الإبداع في حال، والعودة إليه من تلقاء الإبداع في حال أخرى، فذلك هو النقد، إن مسألة ادعاء الإبداع ليست عابرة في

تاريخ النقد الحديث، والدليل على ذلك قول أحد النقاد" النقد إبداع، شرطه الإبداع، ومهمته الإبداع"، وهذا القول يحمل أكثر من تفسير، فقد

يكون المقصود بالإبداع أن يستحيل الناقد شاعرا آخر متخذا من تجربة هذا الشاعر في تحريك ما أثارته الطبيعة والمجتمع في الشاعر الأول ، وقد يكون المقصود بالإبداع ارتفاع مستوى الناقد إلى مستوى المنقود، وأن ذلك الارتفاع واجب لأداء المهمة، وكلما كان الناقد أقرب إلى المستوى كان أجدر بالمهمة ، الشاعر إنسان كبير والناقد إنسان كبير ويجب أن يكون كذلك فلابد من المناظرة، وهو مبدع -حينئذ- بعمق أفكاره وجدتها وأصالتها فهو وحده المتفرد فيها، ولم يكن تفرده عبثا وغرورا ومن جانب واحد، إنما هو جد تعترف له به سائر الأطراف، وتزيد التجربة و تقادم الزمن والاعتراف به صحة وقوة2

المحاضرة الثالثة

مراحل وملامح النقد الجزائري الحديث

حدد الدكتور أبو القاسم سعد الله أربعة مراحل بارزة كانت بمثابة الأرضية التي مهدت لنمو وتطور النقد في بلادنا، وهذه المراحل هي:

- المرحلة الأولى:

تتمثل فيما قام به بعض شيوخ الجزائر من حملات في أوائل القرن العشرين أمثال أبي القاسم الحفناوي، محمد بن أبي شنب، مولود بن الموهوب، حيث دعوا في هذه الحملات إلى الأخذ بالقدم ونبذ الجديد، فكان اتجاههم اتجاها محافظا يشكك في القيمة الفنية لكل ما هو جديد

مهما كانت قيمته، وقد ساعدهم في نشر أفكارهم مجموعة من النوادي احتضنت محاضراتهم و دروسهم كنادي صالح باي والمدرسة الثعالبية، وسار على خطاهم من تبعهم من تلاميذهم، وكان الدافع لهذا الاتجاه رادع ديني ثقافي بعيد كل البعد عن الأدب؛ تمثل جانبه الديني في رفضكل ما من شأنه أن يمس بالدين الإسلامي في نظرهم - وخاصة في هذه الفترة التي أصبح فيها الدين الإسلامي مستهدفا من طرف السياسة الاستدمارية؛ أما الجانب الثقافي فكما هو معروف في أي زمان ومكان، فإن أي حركة تهدف إلى التجديد لن تجد منذ الوهلة الأولى الاستحسان والترحاب، وإن وجدته من طرف فئة متفتحة على العالم من حولها، فإنها لن تجده من قبل أولئك الذين يتعصبون بقوة لما هو قديم، ويناضلون بمرارة في سبيل الدفاع عنه .

:المرحلة الثانية

وقد تميزت هذه المرحلة بانخفاض حدة التعصب إلى القديم والمزاوجة الثقافية بين القديم و الجديد، وهذا ما نلمسه عند الشيخ عبد الحميد بن باديس ، فقد كان للشيخ طريقة خاصة في تناول الحياة كلها، القديم في محاسنه ورزانته و الجديد في طلاقته وتطوره، فقد حاول ابن باديس التجديد في النثر حيث أصبح يواكب أحدث الأساليب في عهده ويتضح ذلك في دراسته للكامل والأمالي، وبالرغم من هذا فقد كانت هذه المرحلة نوعا من الامتداد للمرحلة الأولى و لم تستطع كسر قيود الماضي.

:المرحلة الثالثة

وتأتي هذه المرحلة على يد البشير الإبراهيمي الذي أظهر ميلا خاصا للنقد والتوجيه متخذا من جريدة البصائر منبرا للأدب والنقد بما كان

يمليه من شروط للأدباء والكتاب الذين لهم رغبة للمساهمة في التحرير، كما كان تلاميذه ينشدون الشعر بين يديه، وكان ينقدهم مشيرا إلى مواطن الضعف فكانوا يستفيدون من نقده وما يقدمه من نماذج رائعة من الشعر والنثر قديمة أو معاصرة.

المرحلة الرابعة:

مثلها الجيل الذي تخرج علميا على يد الشيخ بن باديس، وأدبيا على يد الشيخ الإبراهيمي، فقد تميزت هذه المرحلة بتمرد في الأسلوب والموضوع، كما أخذت تطبق بعض المذاهب النقدية التي اكتسبتها من ثقافتها المعاصرة، فظهر المذهب الواقعي واضحا في نتاج (أحمد رضا حوحو)، ومن أبرز أدباء هذه المرحلة (حمزة بو كوشة، عبد الوهاب بن منصور، أحمد بن ذياب، مولود طياب...)، هذا الأخير الذي يعد مكثرا في مجال النقد و احتضنت أبحاثه ونقده مجلة (هنا الجزائر)؛ الصادرة عن هيئة الإذاعة المحلية .

وظيفة النقد الأدبي

لقد تحدث الكثير من النقاد والدارسين عن وظيفة النقد ومهمة الناقد، وكان كل واحد ينطلق في حديثه من الموقع الذي يشغله، والاتجاه الذي ينتمي إليه، والقناعات الفكرية والفنية التي تشكل وجهة نظره، وتعطيها دلالاتها الخاصة ، ومع ظهور أولى الإبداعات الأدبية لدى الإنسان ظهر الفعل النقدي موازيا ومسايرا لهذه الإبداعات، وظل هذا التلازم بين العمل الأدبي والنقد قائما يصب في مجرى خدمة الحركة الأدبية بعامة ؛ إذ أخذ النقد على عاتقه تفسير جمال العمل الأدبي وتوضيح وإبراز طريقة الأديب في الإعراب عن أفكاره عن طريق تحليل العمل الأدبي فكريا وفنيا، يقول الدكتور عبد الله ركيبي: " فإذا كانت مهمة الأديب التعبير عن إحساسه بما حوله والواقع الذي

يصوره بحيث يعكس ذلك في صورة جميلة مؤثرة، وبمعنى آخر إذا كان الأديب يشكل المادة الأولى الأساسية ليجعل منها عملا مؤثرا قادرا على نقل الإحساس بالجمال من جهة وإبراز القيم الإنسانية من جهة أخرى، إذا كانت هذه مهمة الأديب المبدع، فإن مهمة الناقد هي تفسير هذا الجمال، وإظهارطريقة الأديب في البحث على الخير أو نقد الحياة وما فيها من زيف أو ظلم أو شر"، من خلال كلام عبد الله ركيبي يتضح لنا بأن الناقد يؤدي دورا مزدوج الفائدة، فهو من جهة يلفت نظر الفنان إلى مواطن الضعف إن وجدت عنده ويدله على كيفية تحسين أدواته الفنية، وبالتالي الارتقاء إلى مستوى أرقى وأجود، ومن جهة ثانية يكون قد خدم المتلقي، وبصره بكيفية بناء العمل الفني وعليه تكون مهمته هي "التوسط بين الشاعر والقارئ، إنه يخدمها بما لا تحمله كلمة الخدمة من تقليل الشأن، إنه يصل بين طرفين4 ، فإن كانت هذه مهمة الناقد التي تحمل سمو رسالته فإنه لا مجال لإثارة الجدل كون الناقد خصما للأديب ومتطفلا مستقلا لمجهوداته أو العبارة التي اعتدنا سماعها كلما ذكر الناقد الناقد أديب فاشل ، فالناقد هو الذي يأخذ بيد الأديب ويساعده على تسلق مراتب السمعة والشهرة في فهمه عن طريق تبصيره بأخطائه وتوجيهه، لذلك لا ينبغي أن يختلف الأدباء والنقاد إلا في إطار الفن ومن أجل الفن، ويجب عليهم أن يتفقوا على خدمة الأدب بتطويره... ويدخل في هذا الاتفاق الضمني أن يفهم كل منهم رسالته حق الفهم"، كما أن مهمة الناقد لا تتوقف عند حد تقويم العمل الأدبي من الناحية الفنية والموضوعية والشعورية بل تتعداه إلى" تعيين مكانه في خط سير الأدب، وتحديد ما أضافه إلى التراث الأدبي في لغته، وفي العمل الأدبي كله، وقياس مدى تأثره بالمحيط، وتأثيره فيه، وتصوير سمات صاحبه وخصائصه الشعورية والتعبيرية وكشف العوامل النفسية التي اشتركت في تكوينه والعوامل الخارجية كذلك "، ومن خلال قول

سيد قطب يمكننا أن نستخلص وظائف النقد ومهمته إزاء العمل الأدبي .

وتتمثل الوظيفة الأولى في دراسة بنية العمل الإبداعي وذلك بالتطرق إلى التقويم من الناحية الفنية والموضوعية و التعبيرية والشعورية.

أما الوظيفة الثانية فهي تتولى ربط العمل المبدع (النص الأدبي) بالعالم الخارجي عامة والحركة الأدبية بصفة خاصة بتأكيد مكانته ضمن غيره من الأعمال الإبداعية، فبهذا يأخذ النص الأدبي قيمته الفنية وذلك بتحديد مدى تأثيره وتأثره بالمحيط الخارجي.

في حين نجد الوظيفة الثالثة تتولى الكشف عن حالة الأديب وما يتعلق به من عوامل نفسية واجتماعية التي تتظافر في تكوين شخصيته.

هذه إذا هي وظائف النقد حسب رأي سيد قطب، وما يؤاخذ على هذا الرأي أنه يعوزه التروي، وتنقصه الدقة في تحديد مجال النقد الأدبي وتوضيح دوره في تحديد مهمة الناقد.

ولو اكتفى بالوظيفة الأولى وما تحمله من التقنيات الفنية والموضوع، والتعبير والشعور، لكان كلامه في صلب النقد الأدبي ، و من وظائف النقد أيضا أن للنقد مكانة قيادية في حركة الأدب، أوله على الأقل مكانة توجيهية لا غنى عنها، كما لا تنحصر مهمة الناقد في بيان الغث والسمين، ومنع عمليات السطو والتسلل والتناسخ في الساحات الأدبية، بل أنها تسعى إلى مهمات أخرى ليست أقل شأنا كحماية الذوق العام وتطويره ، ورفع مستوى القراءة لدى المثقفين، وضبط مسار الحركة الأدبية على ضوء الأهداف والمثل السامية التي قد ينحرف عنها بعض الأغرار والطفيليين ، ولاشك أن هذه الخطوط

العريضة لمهمات الناقد تجعل موقعه في الصدارة بين كبار الأدباء والمفكرين، وهو بالتالي ليس تابعا، ولا ملحقا عسكريا ولا شرطي مرور، بل هو على أساس الشروط المذكورة أديب ومفكر وفنان من طراز متميز ، بالإضافة إلى هذه الوظائف والمهام، توجد وظائف أخرى للنقد حددها الدكتور محمد مصايف فيما يلي:

1- أنه ينبه القارئ إلى الأثر الجديد ويدفعه إلى اقتنائه وتكوين رأيه الخاص به، ويساعد على التعريف بالأثر المنقود

2 تتمثل وظيفة النقد الثانية في "تبصير الأديب بأخطائه وحسناته وتنبيهه إلى ما يقع حوله من أحداث، وتوجيهه إلى أن يقف في جانب الحق والخير"، وهي نفس النظرة التي عبر عنها محمد مندور حينما اعتبر من وظائف النقد" توجيه الأدباء والفنانين في غير تعسف ولا إملاء ولكن في حدود التعبير بقيم العصر وحاجات البشر ومطالبهم وما ينتظرونه من الأدباء والفنانين ".

3 - الوظيفة الثالثة للنقد الأدبي تتمثل في إنقاذ المبدعين من النسيان والتهميش مثلما فعل العقاد مع ابن الرومي" الذي كان مغمورا في عصره وبعد عصره؛ لأسباب يختلف مؤرخو الأدب العربي في تعدادها" ، وهذه الوظيفة مهمة كونها لا تنكر الجميل والفضل، فكيف يتسنى لنا في أدبنا أن نهمش أحد فطاحل الشعر العربي القديم ".

4- الوظيفة الرابعة: يتمثل دور النقد في" تحديد الاتجاه العام للحركة الأدبية، والمذاهب الأدبية التي تظهر في هذه الحركة، وتحديد العلاقة القائمة بين الأدب وبين المجتمع" .

5- الوظيفة الخامسة: ويرفض فيها الدكتور محمد مصايف أن ينحصر النقد في الشروحات و التلخيصات والتحليلات والتبريرات التي تمتلئ بها صحافتنا الوطنية، فعلى النقد إذا أن يكون أكثر عمقا

ووعيا ونضجا من النقد الصحفي، وينبغي له أن يضيف إلى أبعاد الأثر الأدبي أبعادا جديدة توسع من مفهومنا للحياة والمجتمع الذي نعيش فيه، ويستعين في هذه المهمة بالعلوم الاجتماعية والإنسانية وحتى الدقيقة منها، وذلك دون أن يصرح بها علنا، فقد اعتبر الدكتور مصايف النقد نوعا من المعرفة.

هذه إذا أبرز وظائف النقد، ومهما يكن من أمر؛ فإن النقد الأدبي يكتسي أهمية بالغة في تقويم العمل الأدبي من الناحية الفنية وبيان قيمته الموضوعية لذلك لا يمكن الشك في الفائدة الحقة التي يقدمها النقد الأدب، " فإن كان الشاعر الكبير يجعلنا مشاركين له في فهمه الأعظم لمعنى الحياة، فإن ناقدا كبيرا قد يجعلنا مشاركين له في فهمه الأعظم للأدب

2

المحاضرة الرابعة

عوامل انتشار النقد الأدبي في الجزائر

سبق الحديث عن النقد الأدبي في الجزائر في مرحلة ما قبل الاستقلال، وأرجعنا سبب عدم ظهور دراسات نقدية ناضجة إلى ذلك الفراغ الرهيب الذي كانت تعيشه الحركة الأدبية في الجزائر آن ذاك "إذ لم يكن هناك أدب متكامل يعيش مع مشاكلنا الذهنية والعاطفية. فكيف بعد هذا يحاول الحديث عن النقد الأدبي بينما النقد والأدب صنوان يسند ويكمل أحدهما الآخر "غير أن هذا الوضع لم يبق على حاله، فقد عرفت فترة ما بعد الاستقلال ظهور نشاط أدبي ونقدي كانت نواته الطلبة الوافدين إلى الوطن بعد مزاولتهم للدراسة في الخارج أمثال أبو القاسم سعد الله، عبد الله ركيبي، محمد مصايف،

صالح خرفي... وآخرون، " فالفعل الاستدماري العنيف أنتج لدى هؤلاء الأدباء الجزائريين رد فعل عنيف أدى بهم إلى الالتفاف حول الثقافة الوطنية والاحتماء بالمرجعية التراثية والقومية المقاومة كل أشكال الغزو برؤية واقعية تاريخية تجعل من الأدب رسالة ثورية، ذات غاية إيديولوجية أساسا ،وقد توزعت جهود النقاد في هذه الفترة على تقديم بحوث ودراسات جامعية، وكتابات نقدية متفرقة في الصحف والجرائد الوطنية والمجلات والمنتديات والملتقيات كانت بمثابة العوامل التي أدت إلى انتشار الأدب ونقده في الجزائر، و يمكن حصرها فيما يلي:

1 الصحافة:

لقد أدت الصحافة الجزائرية بالرغم من المطاردة الاستعمارية خدمة كبيرة للنهضة الأدبية الحديثة "، وتتمثل هذه الخدمة في معالجتها لشؤون الجزائريين المسلمين والمواطنين، و دفاعها عن حقوقهم وتعبيرها عن مطالبهم وقد مثلت الصحافة منبرا للكاتب وللشاعر وللمعلق السياسي وللمصلح الديني والاجتماعي وكان لها الفضل في نشر اللغة العربية والحفاظ عليها، وإقامة الروابط

وتقويتها بين بلاد المغرب العربي والمشرق العربي الإسلامي، و بهذا الصدد يمكننا أن نمثل بأبيات الشاعر الثائر رمضان حمود الذي عبر عن دور الصحافة حيث يقول :

إن الصحافة نور للبلاد إذا سارت موفقة في أحسن السبل هي الفوائد لشعب غدا سكنا هي الحسام طويل الحول والحيل هى اللسان لها حكم وسيطرة هي الرسول لدى الأجناس والدول هي الطبيب يداوي من به

مرض من الجهالة أو ميل إلى الزلل ، بالإضافة إلى ذلك فقد بدت خدمة الصحافة الجليلة في مخيلة الدكتور صالح خرفي بمثابة البحر، و بدا الشعر لحما في هيئة سمكة، و معنى ذلك أن حياة الشعر وازدهاره مرتبطان بوجود الصحافة وانتشارها يقول خرفي:" ويوم عرفت الجزائردور الصحافة كان الشعر كالسمكة المختنقة توضع في الماء، فدبت فيه الحياة، وسرت في مفاصله رعشة الحيوية، فطال نفسه في البث طول نفسه في الكبت، وعانق الصحيفة وأمطرها القبلات، وهلل وكبر لمطلعها، واستبدل الدمعة بالبسمة، وطارد اليأس بالأمل، وأقام العرس مقام المأتم، وكأن الصحافة فتحت له الفتح المبين " ، لقد أظهر الأدباء الجزائريون إعجابهم بالصحافة الشرقية لما فيها من غذاء فكري وأساليب رفيعة تلك الصحافة التي حملت على أعمدتا شعرا ونثرا، فساهمت بذلك في رفع مستوى الأدباء الجزائريين سياسيا، وأدبيا، وفكريا ، ضف إلى ذلك تشجيع الإبداع وتوفير المادة لنشرالإبداعات ، هكذا إذن كان ولا يزال أثر انتشار الصحافة بالغا في أسلوب الكتابة والتأليف وفي علاقة الناس بالأدب، فالشاعر صار قريبا من الناس يوميا بما ينشر ويطبع ويبيع من عمله ، لقد فتحت الصحافة الوطنية صفحات جرائدها لكتابات النقاد، وإن لم تخص جريدة بعينها في قضايا النقد، فبدأت بعض الصحف الوطنية تخصص صفحات للأدب والإبداع وبعض النقد .كجرائد (الشعب)، ومحلة (الجيش)، وجريدة (النصر)

ثم ظهرت الصحافة الأدبية شبه المتخصصة كمجلة (آمال)، في سنة 1969م؛ حيث فتحت صفحاتها لإبداعات الشباب وإن لم تبرز توجيها نقديا تردفه لتلك الإبداعات الأدبية، فكانت تكتفي بحجز ما تراه لم يرق لدرجة النشر وهو نوع من النقد لتلك الأعمال، "إلا أن ما ميز الصحافة الأدبية هو روح السلبية التي أساءت كثيرا إلى النقد الأدبي

لأن حاجتنا إلى ملء الفراغ أدت إلى نشر الإنتاج الأدبي والنقدي دون مراعاة لمستويات هذا الإنتاج لذلك انتشر الغث والسمين في الأدب والنقد على حد سواء"، إلا أن كبار الكتاب و النقاد الذين عرفتهم الساحة الأدبية الجزائرية بدأت مسيرتهم الإبداعية والنقدية انطلاقا من الصحافة حيث تمكن شباب من إبراز إبداعاتهم وكتاباتهم النقدية لتكون ألمع الأقلام فيما بعد كمرزاق بقطاش، عبد العالي عرعار، جيلالي خلاص، عمر أزراج، أمين الزاوي، كما قدمت الصحافة للأدب خدمة كبيرة؛ إذ برز النقد الأدبي وأينع عصره يوم تأججت الصراعات، وأخذ يسير في التبلور محققا فتحا كبيرا في المشروع الأدبي الحديث والنقد أحد أهم روافد الأدب وأخص أسباب تطوره .

2 - الروافد الأكاديمية:

مارست الروافد الأكاديمية من خريجي الجامعات والمعاهد العليا بأطروحاتها العلمية تأثيرا متزايدا في تنمية النقد وخاصة منها نقد القصة والرواية، وفي إشباع البحث العلمي بالمنهجية المعرفية الحديثة ولقد جسدت الجامعة هذه التجارب النقدية وهذا هو هدفها في توجيه طلبتها نحو البحث ومحاولة إرساء ووضع أسس الممارسة النقدية في الجزائر ،

برزت هذه الكتابات النقدية كأعمال أكاديمية وأطروحات جامعية تهدف بالأساس للتعريف بأدباء الجزائر وبالبطاقات المبدعة التي تزخر بهما وهو عمل في جوهره يحمل طموحات الثورة لتحقيق الاستقلال الثقافي بعد الاستقلال السياسي .

يظهر ذلك جليا في كتابات النقاد في هذه الفترة، يقول عبد الله ركيبي: "إن إحياء التراث ليس عملية سهلة ولكنه جهد متواصل نزيه يقوم به من يؤمن بأهميته ودوره في الحياة الثقافية الفكرية والثقافة

الروحية للفرد والمجتمع معا ويقدر جهود الآخرين، أولئك الذين أنتجوه في ظروف قاسية

: الدراسات الأدبية 2.

تندرج هذه الجهود في إطار إعادة النظر في الماضي وغربلته من كل الشوائب التي غطت جوهر العمل الأدبي في محاولة لمواجهة المسؤولية المباشرة مع التاريخ والتحدي الحضاري الذي يفرضه الواقع على الفرد الجزائري، فناقد مثل عبد الله ركيبي تناول القصة الجزائرية في كتابه (الأوراس ودراسات أخرى) حيث درس تطور القصة الجزائرية وأثر الثورة فيها و كذا شخصية البطل.

أما الشعر فاهتم به ركيبي من خلال دراسته الشعر الديني الجزائري الحديث)، وكذا كتابه (الشعر في زمن الحرية)، وفي كل أعماله يركز على المراحل التي مر بها النقد الأدبي في الجزائر بحس بتجميعي لكل الشخصيات المبدعة جاعلا منها محور كتاباته ليأتي حديثه النقدي مقتضبا ، وهو ما يؤكد إلحاح ركيبي على دوره كناقد في تعريف و تسليط الأضواء على المبدعين الشباب.

كما اهتم الناقد (محمد مصايف) بالمناهج النقدية المستعملة في المغرب العربي قبل وبعد الاستقلال في كتابه (النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي)؛ حيث درس حسبه «بذور النقد المذهبي بالمعنى العام لهذا المصطلح في المغرب العربي ".

: مميزات الحركة النقدية في الجزائر -3

المتأمل للنقد الأدبي في بلادنا يجد بأنه جزء لا يتجزأ من النقد العربي في بلاد المشرق والمغرب وهو لا يشكل بأي حال من الأحوال ظاهرة

إقليمية منغلقة، لأنه أفاد من النقد الأدبي في الوطن العربي فائدة جوهرية، وعمل على إثرائها بما أتيح له من الاطلاع على الثقافة الغربية، ومن ضمنها الفنون الأدبية والنقدية، والحق أن النقد الأدبي الجزائري الحديث قد ظهر متأخرا نسبيا، وأنه لم يكن ناضجا في بداية نشأته، وأنه كان يتسم بالنظرة الجزئية حينا، والنظرة السطحية العامة حينا آخر، إلى غير ذلك من الأمور التي تدل على نقص وعدم اكتمال، غير أن ذلك في الواقع أمر طبيعي جدا، وله ما يبرره فمن المعروف أن النشاط الأدبي في الجزائر إلى غاية العشرينات من القرن 20 م ، كان نشاطا ضعيفا شكلا ومضمونا، ولكن عندما أخذ الأدب الجزائري في النمو والتجدد شيئا فشيئا من بداية العقد الثالث القرن 20 م أخذ النقد في الظهور والنمو شيئا فشيئا هو الآخر، وهذا أمر منطقي وواقعي، الأن الأعمال الأدبية تسبق الدراسات النقدية لتكون موضوعا لها، هذا من جهة، ومن جهة ثانية كانت البيئة الثقافية الجزائرية تتميز بوضع شاذ بين البيئات الثقافية العربية الأخرى ،لما عرفته من سيطرة استدمارية قاسية قضت على الإمكانات وخنقت الحريات وحاولت قطع جسور التواصل بينها وبين شقيقاتها في الوطن العربي ، ورغم هذه الأجواء الثقافية القاتلة فقد عرف الأدب الجزائري الحديث نقلة نوعية، وعرف من ورائه النقد مساره إلى الساحة الأدبية ليسهم في النضال من أجل أدب حي يعبر بصدق عن حياة المجتمع بما فيها من أفراح وأقراح، ولكن الحقيقة التي لا يمكن أن ننكرها هي أن نقدنا يتميز بالسطحية في العرض والجزئية في النظرة، والتأثرية في الحكم كما قال الدكتور عبد الله ركيبي "أن هذا النقد لا يزيد على التجارب العاطفية الصرفة دون أن يتكلف ناقد أو أديب مشقة البحث والكشف عن ضعف الشعر طوال ثلث قرن، وما وجد من نقد لا يزيد على كلمات عامة تنصب على الجزئيات مثل اللفظ والمعنى، أو أن الشاعر أحسن في هذا البيت ولم

يحسن في الآخر"، إن حصر النقد بهذه الطريقة يعني أن هذا النقد ما زال يحبو كونه يقوم على التأثرية والرؤية المبهمة بالإضافة إلى نظرته الجزئية المتحيزة ، ضف إلى ذلك سمة الخطابية في العرض والحكم وتتجلى خاصة في التيار التقليدي كيف لا وظروف الجزائر السياسية والدينية كانت تختلف عنها في تونس والمغرب الأقصى وكانت الحركة الإصلاحية في صراع شديد مع الأوساط الدينية المحافظة، ومع الإدارة الاستدمارية فيما يخص التعليم الحر، وكانت الحركة السياسية أعنف الحركات الوطنية في المغرب العربي بل في سائر العالم العربي؛ حيث كان حزب الشعب الجزائري في معركة مستمرة مع الاستعمار ، والنقاد والأدباء الذين كانوا يشكلون العنصر الأساسي في الحركتين، كان عليهم أن يتجاوبوا مع الجو العام، فساد الأدب والنقد أسلوب الخطابة والحماس، وهذه ميزة نقاد الاتجاه التقليدي في الجزائر، ضف إلى ذلك الاهتمام الشديد باللغة والعروض والأسلوب الخطابي والتقريري في المعالجة والاستناد إلى التراث أما الاتجاه التأثري فقد تميز نقده بالدعوة إلى أدب جديد الهدف منه البعث والتطوير وقد أطلق عليه النقاد ب(أدب النفس والحياة)؛ النفس بما تحمله من مشاعر و عواطف و آلام وتطلعات، والحياة بما فيها من شمول وعمق، ضف إلى ذلك المناداة بالحرية الفنية؛ هذه الحرية التي دعا إليها هؤلاء النقاد حرية فنية مزدوجة: تحرر من بعض التقاليد العتيقة التي كانت في نظرهم تقيد عبقرية الأديب وتمنعه من الانطلاق في الأجواء الأدبية الجديدة التي تسمح له بالتعبير عن النفس ومشاعرها، وعن الحياة في شمولها وعمقها، لقد دعوا إلى التخلي عن الأغراض الشعرية التقليدية وترك شعر المناسبات، والأخذ باللغة البسيطة والأسلوب غير المعقد في الفنون المختلفة، كما يتسم الاتجاه التأثري بالانفتاح على المذاهب الفنية العربية والغربية الحديثة ... وهذا الانفتاح أدى إلى معالجة العديد من

القضايا من بينها على سبيل المثال لا الحصر: ماهية الأدب ووظيفته، والصدق وعدم التكلف والافتعال في التعبير والحرية الفنية، والموسيقى الشعرية وغيرها من القضايا النقدية الأخرى ، ومما لا شك فيه أن هذه القضايا شكلت مرحلة حاسمة لدخول معترك النقد الحديث في مرحلة الواقعية أو الاتجاه الواقعي الذي يمتاز عن سابقيه بشيء من العمق، كما أن ظهور الواقعية في الأدب الجزائري كان رغبة، وفي هذا الصدد يصرح الناقد أبو القاسم سعد الله " بأن التيار الواقعي في الأدب الجزائري جاء نتيجة لتطور الحركة الوطنية في الجزائر" فتبلور المفاهيم القومية في أذهان الناس ووضوح المبادئ السلمية أو الثورية التي اعتمدت عليها الحركة في خط سيرها المتعرج الطويل، بعد هذا كان التعايش بين التيار التقليدي والتيار الرومانسي، قد بدأ ينفصل، وأخذ يفسح المجال لظهور تيار جديد يحمل معه قوى اندفاعية وإمكانيات تعبيرية هائلة".

رغم تأخر ظهور الاتجاه إلى الواقعية في النقد الأدبي بالجزائر إلى ما بعد الاستقلال إلا أنه لم يمنع الحركة الأدبية والنقدية الواقعية من النضج الفني والفكري وذلك في السبعينيات خاصة.

كما أنه رغم قصر المدة الزمنية إلا أن الواقعية استطاعت أن تضع الأسس الأولى لما يمكن تسميته بالمدرسة النقدية الواقعية الجزائرية التي تجسدت أفكارها وأسسها في كتابات الدكتور عبد الله ركيبي، والدكتور محمد مصايف، والدكتور الأعرج واسيني، والدكتور محمد ساري، و الدكتور مخلوف عامر والدكتور أزراج عمر، ومحمد بو شحيط، ومحمد زتيلي وغيرهم، هكذا إذا اتضح النقد الأدبي في بلادنا قبل الاستقلال في دوره المحدود جدا " فهو لا شك تعبير عن مرحلة نقدية تصدر عن اتجاهات فكرية نقدية جزائرية وفنية، ولكنها من الواضح لم تصل إلى مرحلة التأسيس لمدرسة نقدية جزائرية لها

خصائصها ومميزاتها الفكرية والفنية على غرار ما ظهر في المشرق العربي، وازدهار النقد الأدبي الجزائري مرتبط باحتواء الواقعية خلال السبعينيات، فاستطاعت رغم قصر المدة الزمنية أن تضع الأسس الأولى لما يمكن تسميته بالمدرسة النقدية الواقعية الجزائرية2،

وفي هذا السياق نتفق ودعوة عبد الله ركيبي إلى منهج جيد في النقد الأدبي يصفه "بالمنهج المتأمل في النقد الجزائري يستفيد من العلوم الإنسانية كلها، ولكنه يراعي النص الأدبي بالدرجة الأولى لا معزولا عن صاحبه وعن بيئته، ولكن معزولا عن المؤثرات الشخصية الذاتية بعيدا عن الأهواء والأحكام العامة السابقة، والذي منع مع قيام هذا النقد هو تكلف المثقفين للنقد، وممارسته ممن يحسنه ومن لا يحسنه مما أدى إلى خلط في المفاهيم وفي المصطلحات، وغاب التقويم الحقيقي، فلم يستفد الأدب والأدباء كثيرا مما ينشر في النقد ، أما بعد الاستقلال فالنقد الجزائري لم ينتظم في شكل مذاهب أو مدارس نقدية مثلما وجد في المشرق العربي وكما كان عند الغرب، صحيح نعترف بوجود نقد أدبي جزائري، ولكنه لا يتعدى بأي حال من الأحوال ميدان الشعر والقصة القصيرة، وكانت التجارب النقدية في شكل ملامح نقدية بعيدة عن طابع السذاجة والمباشرة، مع اختلاف النقاد الجزائريين في الاعتراف بهذه التجارب النقدية.